صيد الخاطر

354 - _ فصل : وزن الأعمال في الدنيا قبل موازين الآخرة .

تفكرت في نفسي يوما تفكر محقق فحاسبتها قبل أن تحاسب و وزنتها قبل أن توزن فرأيت اللطف الرباني فمنذ الطفولة و إلى الآن أرى لطفا بعد لطف و سترا على قبيح و عفوا عما يوجب عقوبة .

- و ما أرى لذلك سكرا إلا باللسان .
- و لقد تفكرت في خطايا لو عوقبت ببعضها لهلكت سريعا .
 - و لو كشف للناس بعضها لاستحييت .
- و لا يعتقد معتقد عند سماع هذا أنها من كبائر الذنوب حتى يظن في ما يظن في الفساق . بل هي ذنوب قبيحة في حق مثلي و وقعت بتأويلات فاسدة .
 - فصرت إذ دعوت أقول : اللهم بحمدك و سترك علي إغفر لي .
 - ثم طالبت نفسي بالشكر على ذلك فما وجدته كما ينبغي .

ثم أنا أتقاضى القدر مراداتي و لا أتقاضى نفسي بصبر على مكروه و لا بشكر على نعمة . فأخذت أنوح على تقصيري في شكر المنعم و كوني أتلذذ بإيراد العلم من غير تحقيق عمل به

و قد كنت أرجو مقامات الكبار فذهب العمر و ما حصل المقصود .

فوجدت أبا الوفاء بن عقيل قد ناح نحو ما تحت فأعجبتني نياحته فكتبتها ههنا .

قال لنفسه : يا رعناء تقومين الألفاظ ليقال مناظر و ثمرة هذا أن يقال : يا مناظر .

كما يقال للمصارع الفاره .

ضيعت أعز الأشياء و أنفسها عند العقلاء و هي أيام العمر حتى شاع لك بين من يموت غدا اسم مناظر .

ثم ينسى الذاكر و المذكور إذا درست القلوب .

هذا إن تأخر الأمر إلى موتك بل ربما نشأ شاب أفره منك فموهوا له و صار الاسم له .

و العقلاء عن ا∏ تشاغلوا بما _ إذا انطووا _ نشرهم و هو العمل بالعلم و النظر الخالص لنفوسهم .

أف لنفسي و قد سطرت عدة مجلدات في فنون العلوم و ما عبق بها فضيلة .

إن نوظرت شمخت و إن نوصحت تعجرفت و إن لاحت الدنيا طارت إليها طيران الرخم و سقطت عليها الغراب على الجيف .

- فليتها أخذت أخذ المضطر من الميتة .
- توفر في المخالطة عيوبا تبلي و لا تحتشم نظر الحق إليها .
- و إن إنكسر لها غرض تضجرت فإن أمدت لك بالنعم اشتغلت عن المنعم .
 - أف و ا□ منى اليوم على وجه الأرض و غدا تحتها .
 - و ا□ إن نتن جسدي بعد ثلاث تحت التراب أقل من نتن خلائقي و أنا .
 - بين الأصحاب .
- و ا الاني قد بهرني حلم هذا الكريم عني كيف يسترني و أنا أتهتك و يجمعني و أنا أتشتت
 - و غدا يقال : مات الحبر العالم الصالح و لو عرفوني حتى معرفتي بنفسي ما دفنوني .
 - و ا□ لأنادين على نفسي نداء المكشفين معائب الأعداء .
 - و لأنوحن نوح الثاكلين للأبناء إذ لا نائح لي ينوح علي لهذه المصائب المتكومة و الخلال المغطاة التي قد سترها من خبرها و غطاها من علمها .
 - و ا□ ما أجد لنفسي خلة أستحسن أن أقول متوسلا بها : اللهم اغفر لي كذا بكذا .
 - و ا□ ما ألتفت قط إلا وجدت منه سبحانه برا يكفيني و وقاية تحميني مع تسلط الأعداء .
- و لا عرضت حاجة فمددت يدي إلا قضاها هذا فعله معي و هو رب غني عني و هذا فعلي و أنا عبد فقير إليه .
 - و لا عذر لي فأقول : ما دريت أو سهوت .
 - و ا∏ لقد خلقني خلقا صحيحا سليما و نور قلبي بالفطنة حتى أن الغائبات و المكتومات تنكشف لفهمي .
 - فوا حسرتاه على عمر انقضى فيما لا يطابق الرضى .
- وا حرماني لمقامات الرجال الفطناء يا حسرتي على ما فرطت في جنب ا□ و شماتة العدو بي . وا خيبة من أحسن الظن بي إذا شهدت الجوارح علي .
 - وا خذلاني عند إقامة الحجة سخر و ا□ مني الشيطان و أنا الفطن .
 - اللهم توبة خالصة من هذه الأقذار و نهضة صادقة لتصفية ما بقي من الأكدار .
 - و قد جئتك بعد الخمسين و أنا من خلق المتاع .
 - و أبى العلم إلا أن يأخذ بيدي إلى معدن الكرم و ليس لي وسيلة إلا التأسف و الندم .
 - فو ا□ ما عصيتك جاهلا بمقادر نعمك و لا ناسيا لما أسلفت من كرمك فاغفر لي سالف فعلي